محاضرات الأخلاق التطبيقية

حق الحياة بين الام والجنين:

لقد وضع "جون ستوارت مل" أساسا قويا للتحرر وأبسط مبادئ التحرر تتمثل في كلماته بأن الغرض الوحيد الذي تمارسه سلطة على أي عضو من أعضاء مجتمع متحضر ضد إرادته ويكون مشروعا هو منعه من ضرر الأخرين " ولكي نستخدم هذا المبدأ كوسيلة لتجنب الصعاب في حل النقاش الاخلاقي حول الإجهاض يعني التسليم بان الإجهاض ليس ضررا للأخر. وهي نقطة التي نحاول إظهارها عند تطبيق المبدأ بشكل مشروع على حالة الإجهاض.

وثمة حجة لتبرير الإجهاض دون إنكار أن الجنين هم كائن إنساني برئ، وهي أن المراة لديها الحق في الإختيار ما يحدث لجسدها وهي حجة غير مألوفة نسبيا وقد أصبحت شهيرة بعد بروز الحركة النسائية التحررية والتي تطورت عن طريق الفلاسفة المؤيدين لحركة المساواة بين الجنسين ومن أشهر الفلاسفة نجد جوث جارفيس ثومسون"judith jorvis thmosn ولقد عرضت تومسون قضيتها عن طريق التناظر البارع الذي يبرز لنا تعارض الحقوق بين الأم والطفل ومتى يحضى طرف في سبيل طرف أخر وسوف نعود أدراجنا إلى هذا التناظر، ولكن الأن نبرز الإشكاليات التي تحويها حجة حرية المراة في جسدها.

فإذا كان مل قد اعلن مبدأ الحرية التي لا تسبب ضررا للأخرين فقد ينطبق ذلك في حالة القتل الرحيم الذي يختاره المرأ لنفسه، أو الانتحار، ومن ثمّ يستطيع أي فرد أن يرفض علاج نفسه مفضلا الموت على الحياة لان جسده يتعرض للألم ، وهذا ما يؤكده جاكس ثيوركس jacqes p.thiroux فيقول نحن نؤيد الأفراد الذين يرفضون الغسيل الكلوي لأنهم لا يريدون أن يعيشوا تلك الحياة المؤلمة لمرض الغسيل الكلوي ويفضلون الموت بدلا منها وهناك مرضى أخرون يرفضون الجراحة، أو العلاج الكمياوي، وكل هذه الأشياء تندرج تحت الحقوق الرئيسية للفرد، ولا أحد يمتلك التدخل في هذه القرارات طالما أنه لن يتضرر من ذلك شخص أخر.

ولكن هذه الحجة تضعف شيئا ما حينما نتحدث عن حق الأم الحامل في التحكم في جسدها، فالمشكلة هنا أن جسدها وحياتها الان تشمل جسدا أخر وحياة أخرى في مرحلة ما من مراحل النمو، ولذلك فإن حجة حق المرء التصرف في جسده لا يمكن تطبيقها بشكل مطلق، فالأثار التي ستقع على جسد الأم وحياتها ستقع أيضا على جسد وحياة كائن بشري أخر، وبناء على الاعتبارات الأخلاقية فيجب على الأم أن تراعي مبدأ قيمة الحياة الإنسانية، وبالتالي فالأم المرتقبة لا تملك حقا مطلقا في جسدها، ولا الجنين أيضا يمتلك حقا مطلقا في حياته.

وإذا قلنا أن الإجهاض يجب أن يترك قراره للأم فكيف يتوازن هذا الاتجاه مع مبدأ قيمة الحياة مع مبدأ قيمة الحياة الإنسانية وخاصة إذا وخاصة إذا تطبق على أنواع القتل الأخرى ؟ أليس هنالك تناقض في الدفاع عن القوانين الصارمة ضد القتل وفي الوقت ذاته ندافع عن شرعية الغجهاض؟ ويحاول ثيوكس الدفاع عن حق المرأة في اتخاذ قرارها مدعيا أن هناك عدة تميزات يجب عقدها هنا.

أولا وقبل كل شيء الإجهاض هو إنهاء الحياة الإنسانية" ربما تكون حياة كامنة ليست فعلية".

ثانيا: إن الحياة البشرية غير المرغوبة داخل الرحم تصتدم مع حياة وحرية المراة التي تحمله، وذلك في علاقة مختلفة تماما عن كل العلاقات الإنسانية، على سبيل المثال إذا كان هنالك رئيس عمل، شريك شوج زوجة ، أو أحد الأباء يسبب لك التعاسة لدرجة أنك تريد قتله ، أو قتلها ، فهنالك إذا بديل بان تترك الموقف أو المكان الذي توجد فيه المشكلة، ولكن في حالة الأم لا تستطيع الام الهرب من الجنين الذي بداخلها لكي تتجنب إجهاضه فالإختيار الوحيد إم الإجهاض أو وجود طفل.

ثالثا: يعرّف القتل على انه إنهاء حياة إنسان ضد إرلدته أو دون ارادته أو دون غعطائه حرية الموافقة ولكن لا معنى للحديث عن الاجهاض على انه ضد حرية المراة وإرادة الجنين، فليست هنالك طريقة واضحة يستطيع المرء ان يعرف بها أو يقول متى تكون إرادة الجنين أو لا تكون، ولا يمكن القول أن لديه إرادة في الحياة اللهم إلا بالمعنى البيولوجي فقط. وهكذا يكون الصراع هنا على أشده، بين مبدأ قيمة الحياة الإنسانية ومبدأ الحرية الفردية، نعم فالمرأة تمتلك الحق في حياتها وجسدها ولكنه ليس حقا مطلقا يجب عليها أن تدرك أنها سوف تضحي بحياة كائن أخر إذا مارست هذا الحق.وينتهي ثيوركس إلى أنه يجب علينا ان نعطي المرأة حرية اتخاذ القرار الحيوي بنفسها ولذا علينا أن نعطيهما المساعدة الممكنة مدركين أنه ليس كل النساء يرغبن في عدم استمرار الحمل ، ونقبل ذلك إذا كان القرار يخص الإجهاض وعلينا أن نركز هنا على أن يكون الإجهاض في مراحل مبكرة كلما أمكن .

لكن جون هارس يرى ضرورة كبح هذا الحق المطلق في ملكية الجسد للمرأة منتقدا بقوله" لنفترض أن لدىّ جرعة دواء منقد للحياة وقد ملكته ، بمعنى أنني اشتؤيته ودفعت كل شيء لأناله، أو دعنا نفترض أن هذه الملكية ، أتت من إختراعي لهذا الدواء وقد تم إختباره وتجربته والأن هو قانوني ومباح بشكل كبير، ومن ناحية أخرى سيكون العقار الذي تحتاجه لغنقاد حياتك مثل هذا الدواء الخاص ولكنهملكي وأريد أن أحتفظ به مفضلا ذلك على إنقاد حياتك، وهنا هل يحق لي الاحتفاظ بهذا الدواء والتضحية بحياتك؟ إنني لا أعتقد عدم وجود من يخولني الحق الأخلاقي في هذا أو قل أنني أملك لوحة فنية نفسية لا مثيل لها لفنان أ, ملك منزلا أثريا ليس له مثيل، فهل يمكنني حرق أي من هذين إذا اخترت ذلك؟ نعم إنني أملكهم أيضا ملكية عامة بمعنى أنها جزء من ثقافتنا فهي ذات قيمة لدينا ، ولدى المجتمع وقد يقال إنني سأكون مستقبلا الأمين أ, الحارس اكثر من كوني مالكا رغم سندات الملكية ويرى "هاريس" ان غحدى الطرق لحل هذه المعضلة هو القول بأنه بينما يكون لي الحق في ان احتفظ بدوائي أو أحرق لوحتي الفنية إذا أخترت ذلك، فسوف يكون من الخطأ لي إذا مارست هذا الحق وهذا هو ما ينطبق على حالة المراة وهي أن لديها حق الاختيار ولكن من الخطأ أن تمارس حقها ، ومهما كانت أنواع الحالات التي تشكل خطرا هنا، فإنه ليس من المقبول الإدعاء بأنني أمتلك حقا ولو شكليا في استعادة دوائي لانقاد الحياة في مثل الظروف التي وصفت وقد يكون القانون غير دقيق بما فيه الكفاية للتوائم مع هذه الحالات، فيجب أن تظل ملكيتي محفوظة، ولكن من الصعب التسليم بفكرة أن لدى أي حق أخلاقي في الأحتفاظ بالدواء على حساب حياتك.

وينتهي "هاريس" في تعليقه على فكرة الملكية الخاصة للجسد بأن الملكية الخاصة لا تقارن بأهمية قسمة الحياة الإنسانية، فإن كان للمرأة حق الاختيار فإن هذا الحق ليس نتيجة إدعائها ملكية جسدها أو ملكية الجنين لأنه داخل جسدها، ولكن هذا الحق سببه هو أن الأسباب الخلقية لاحترام حياة الجنين أقل أهمية من الأسباب الخلقية لاحترام قرارها بإجهاض الجنين.